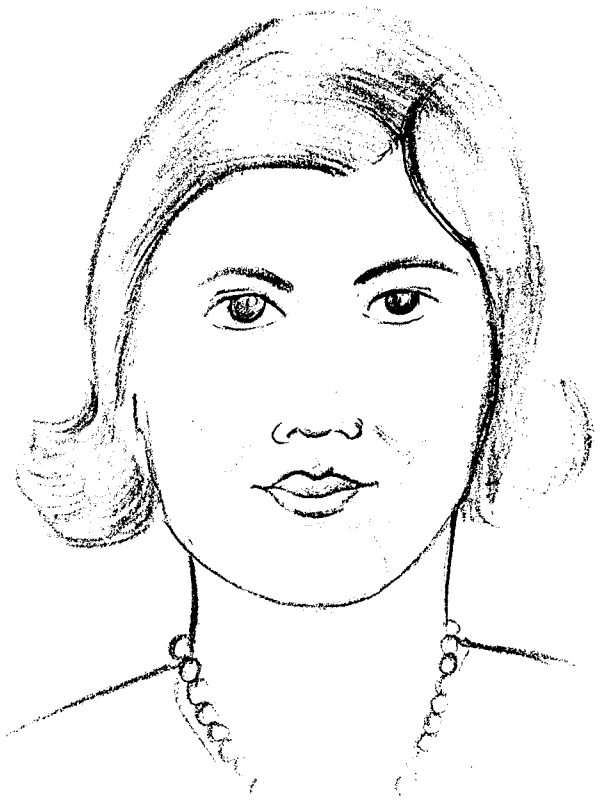

مى زيادة

الجمال الذكى .. والذكاء الجميل

فى فبراير عام ١٨٨٦م ولدت " مارى إلياس زاخور زيادة " التى اشتهرت فيما بعد باسم " مى زيادة " فى قرية الناصرة بفلسطين ، قضت أيام طفولتها فى كسروان ، وعين طورى ثم جاءت إلى مصر فجمعت بين روح الجبل وروح النيل ، وبين جمال اللغة العربية ورشاقة اللغة الفرنسية ، فكان لهذا المزيج الرائع الأثر الكبير على جمال أسلوبها ورقة ورشاقة كلماتها .

كانت " مى " شخصية لطيفة تحب حبًا خالصًا ، ولكنها واجهت صراعات فى حياتها إثر صدمات متتالية ، فقد مات أبوها ، ثم ماتت أمها بعد فترة قصيرة ، فاهتزت " مى " كثيرًا لموت والديها وبعد فترة توفى أيضًا الشاعر "جبران " الذى كانت تكِن له ودًا ومعزة خاصة .

أما أمها السيدة " زهرة معمر " الفلسطينية الجنسية فقد تزوجت من "إلياس زاخور " اللبنانى الجنسية وكان يعمل مدرسًا بفلسطين فى ذلك الوقت ثم عاد إلى وطنه لبنان مصطحبًا معه زوجته وابنته حتى عام ١٩٠٨م ثم انتقلت الأسرة إلى القاهرة حيث قام " إلياس " بإصدار جريدة " المحروسة " جريدة يومية سياسية باللغة العربية واتجهت " مى " إلى تعلم أصول وقواعد اللغة العربية ، والفلسفة الإسلامية ثم التحقت بالجامعة المصرية ، وبدأت فى نشر مقالاتها الأدبية فى مجلات : المحروسة ، والهلال ، والمقتطف ، والزهور ، وكانت تتقن ثمانى لغات عدا اللغة العربية ، إلا أنها نشرت أول كتاب لها باللغة العربية عام ١٩١٢م (رجوع الموجة) ثم ألفت ديوان شعر بالفرنسية وقصة باللغة الإنجليزية ، كما ألفت كتبًا كثيرة من بينها (أزاهير حلم) ،(دمعة وابتسامة)، (بين المد والجزر)، (ظلمات وأشعة)، (كلمات وإشارات)، (غاية الحياة) ، (الصحائف) ، (باحثة البادية) .

وكانت مشكلة (مى) الأساسية هى حاجتها إلى الانتماء فكتبت تقول : " لقد ولدت فى بلد ، وأبى من بلد ، وأمى من بلد ، وسكنى فى بلد ، وأشباح نفسى تنتقل من بلد إلى بلد ، فلأى هذه البلدان أنتمى ؟ وعن أى هذه البلدان أدافع ؟ ! " .

لم تتكرر قصة " مى " فى تاريخ الأدب العربى المعاصر فقد ظهرت " مى " مع ظهور النهضة الحديثة التى نادى بها " قاسم أمين " فى عام

١٩١١م، بدأت "مى" فى إقامة " صالون أدبى فكرى " يعقد يوم الثلاثاء من كل أسبوع بمنزلها بالقاهرة ، ثم انتقل هذا الصالون عام ١٩٢٢م إلى الدور الذى قدمته لها جريدة الأهرام لتقيم به صالونها الأسبوعى ، واستمر حتى نهاية الثلاثينيات ملتقى الأدباء والشعراء والمفكرين والصحفيين الذين تنافسوا على حب " مى " .

كانت مى محدثة لبقة ، مثقفة ، حديثها جذاب ، عبقرية تستطيع التحدث والتحاور فى مختلف الموضوعات بخفة ورشاقة وجاذبية .

وكان من رواد صالونها الأدبى العديد من الشخصيات العظيمة مثل طه حسين ، والعقاد ، والزيات ، ومصطفى الرافعى ، وآخرين .. كان كل من يسمعها أو يقرأ لها يقع فى حبها بشكل أو بآخر ، فقد كان " جبران خليل جبران " يعيش فى المهجر ومع ذلك كان قلبه ينبض بحب " مى"، والرافعى وهو يعيش فى طنطا ، كان تأثير " مى " على أدبه تأثيرًا واضحًا، بل وأثرت فى أيام حياته كلها منذ عرفها وحتى وفاته .

كان الجو العام حول " مى " مليئًا بالمشاعر، إما رجال يعترفون بمشاعرهم لها أو آخرون ترى إعجابهم فى عيونهم ، ولكن من أحبت " مى " من كل هؤلاء؟!

كانت مى على الرغم من انفتاحها على المجتمع الأدبى وإقامة صالونها الخاص بها منطوية على نفسها ، تعيش فى برج بعيد عن الحياة ، وكانت شخصية محافظة ، كتومة ، ولا تفضل اللهو ، وكانت لا تقبل النصح أو التوجيه فى تغيير أسلوب حياتها . نجد فى حياة مى عقدة ما ربما كونتها الأيام والصدمات العديدة التى واجهتها فى حياتها .

نعود للسؤال المحير.. من أحبت مى ؟ !

لقد كان شبلى شميل ، ويعقوب صروف عالمين كبيرين أحبا مى ، حتى أن شبلى شميل وهو عالم فلك نظم أشعارًا فى حب مى ، أما يعقوب صروف فقد كانت مى تبادله عاطفته فقد كانت تراسله كثيرًا ، وتحكى له عن حياتها ومعاناتها.

وهناك قصة أخرى جمعت بينها وبين أمين الريحانى وقصتها مع " أنطون الجميل " ولعل هذه القصة من العوامل التى أثرت على حالتها النفسية ، فلقد امتدت هذه العلاقة العاطفية العذرية حوالى ١٣ عامًا من عام ١٩١٥ إلى ١٩٢٨ ولم تخل من المشاكل والصدمات.

وهناك قصة أخرى أشد وأقوى وهى قصتها مع مصطفى صادق الرافعى، الذى أحب " مى " من أعماق قلبه ولكن هل كانت مى تبادله هذا الحب؟

هذه كانت لمحة حول علاقة " مى " بمن أحبوها وربما من أحبتهم ، ولكن يبقى حب " مى " واضح المعالم .

لقد حاول " الرافعى " أن يتزوج " مى " ولكن شيئًا كان يقف فى وجه هذه الفكرة ،وهى أن " مى " شخصية عامة يحبها الجميع ويحبون أدبها، وشعرها وهذه الفكرة لم تكن ترضى طبع الرجل الشرقى الحساس.

ولعل هذا ما أثر أكثر فى نفسية " مى " الحياة المنقسمة التى عاشتها، فهى شخصية عامة ومحبوبة فى زمن كانت المرأة لا تمارس أى نشاط فكرى ، أو أدبى ، كانت المرأة منعزلة تمامًا عن الحياة الاجتماعية فأصبحت " مى " ظاهرة فريدة من نوعها .

أما مأساة " مى " فيقال : إن بعض أقاربها عابوها بعد موت والديها وادعوا أنها أصيبت فى عقلها ، ونقلوها إلى مستشفى العصفورية فى لبنان حيث أضاف هذا المستشفى متاعب جديدة إلى " مى " .

بالإضافة أيضًا إلى أنها عندما عادت من لبنان ، وكما يصفها " سلامة موسى" كانت سيدة بيضاء الشعر ، كأنها فى السبعين من عمرها ، لقد قاست فى المستشفى كثيرًا ، ثم عادت فلم تجد أحدًا ينتظرها أو يترقبها ، كانت تضحك مرة ، وتبكى أخرى ، وكانت دموعها تنهمر بالبكاء ، ثم بعد لحظات يراها تضحك !

وبلا أدنى شك لم تظهر أديبة عربية حظيت بمثل ما حظيت به " مى زيادة" من شهرة ، أحبها وعشقها معظم عباقرة عصرها من المفكرين والأدباء والشعراء والنبلاء ، أحبها عباس العقاد ، وصادق الرافعى ، ومصطفى عبد الرازق وولى الدين يكن ، وخليل مطران وأنطوان الجميل ، وأحمد لطفى السيد وطه حسين ، وجبران خليل جبران وآخرون كثيرون ، كانت بالنسبة لهم الملهمة والحبيبة التى تطيب الجراح والقلب الذى التف حوله الكثيرون، ولكنها ماتت وحيدة ، ولم تجد من يشفى جراحها ، سئمت الحياة وضاقت بالدنيا وفارقت الحياة عام ١٩٤١ وبقيت ذكراها خالدة فى عالم الأدب النسائى المعاصر .